

وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ.
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ وَفِي يَدِهِ فَسِيلُهُ فَلْيَغْرِسْهَا.

" دَارُنَا الدُّنْيَا أَمَانَةٌ عَلَيْنَا "

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكَرِيمُ!

عِنْدَمَا نَنْظُرُ إِلَى الْعَالَمِ بِنَظْرَةٍ عَابِرَةٍ نَرَى أَنَّ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ حَوْلَنَا مِنْ نَمْلِ صَغِيرٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَحَتَّى كَوْكَبٍ ضَخْمٍ يَسْبَحُ فِي مَدَارِهِ وَيَجْرِي بِدِقَّةٍ، كُلُّهُ مِنْ أَمْرِ صُنِعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَلَا شَكَّ أَنَّ رَبَّنَا لَقَدْ خَلَقَ آلَافَ الْأَنْوَاعِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فِي الْكَوْنِ بِفَضْلِ قُوَّتِهِ الْكَبِيرَةِ وَفِيهِ الْفَرِيدِ. كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَوْجُودَاتِ نِعْمَةٌ فِي الْكَوْنِ وَكُلُّ نِعْمَةٍ هِيَ أَمَانَةٌ عَلَى عَاتِقِنَا. يَقُولُ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي فَرَّئْتُهَا حِينَمَا أَبْدَأُ فِي خُطْبَتِي هَكَذَا:
﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ!

خَالِقُ الْمَوْجُودَاتِ وَمُقَدِّرُ لَهَا فِيمَةً هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْ أَى مَخْلُوقٍ عَبَثًا دُونَ جَدْوَى وَيَقُولُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

لَا عِيبَ﴾ الْكَوْنُ هُوَ مَوْجُودٌ كُلُّهُ مُتَوَازِنٌ وَرَائِعٌ مَعَ كُلِّ ذَرَّتِهِ يُفِيدُ مَعْنًا مُخْتَلِفًا. وَفِي هَذَا الْعَالَمِ حَيْثُ نَجِدُ الْحَيَاةَ لِكُلِّ كَائِنٍ لَهُ هَدَفٌ مُعَيَّنٌ وَفِيْمَةٌ مُخْتَلِفَةٌ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكَرِيمُ!

إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقِ الْكَوْنَ مُسْتَقْبَلًا وَبَعِيدًا عَنْ ذَاتِهِ. بَلْ كُلُّ مَوْجُودٍ يُخْبِرُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى بِلِسَانِهِ الْخَاصِّ. وَهُوَ اللَّهُ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهُ سَيِّطْرَةُ الْعَالَمِ. حَيْثُ أَنَّهُ يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

وَلِذَلِكَ، فَإِنَّ مَسْئُولِيَّتِنَا تَجَاهَ بَيْئَتِنَا هِيَ تَرْجَعُ إِلَى إِحْتِرَامِنَا لِمُلْكِ رَبِّنَا وَأَثَرِهِ فِي الْكَوْنِ. وَأَنَّ الْمُعَامَلَةَ صِدْقَ الْقَوَانِينِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي وَضَعَ اللَّهُ فِي الْكَوْنِ وَإِنْتِهَاكُهَا تَعْنِي إِهْمَالَ مَسْئُولِيَّتِنَا تَجَاهَ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ!

نَحْنُ أُمَّةٌ نَبِيٌّ حَبِيبٌ الَّذِي يَنْظُرُ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ بِمَحَبَّةٍ وَلَوْ كَانَ جَبَلًا وَيَقُولُ إِشَارَةً إِلَى جَبَلٍ أُحُدٍ: « وَهَذَا أُحُدٌ، جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ » وَنَحْنُ نَتَّخِذُ مُرْشِدًا لَنَا نَبِيَّنَا الْحَبِيبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ فِي حَدِيثِهِ الشَّرِيفِ: «إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا» ° وَنَحْنُ نَتَّخِذُ أُسْوَةً حَسَنَةً لَنَا نَبِيَّنَا الْكَرِيمَ الَّذِي يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ بِاسْتِمْرَارٍ مِنْ إِحْتِرَامِ حُقُوقِ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ سَوَاءً كَانَ قِطًّا صَغِيرًا أَوْ طَائِرًا صَبِيلاً أَوْ إِبِلًا ضَعِيفًا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

نَحْنُ نَعِيشُ فِي عَصْرِ أَلِيمٍ؛ مِنْ نَاحِيَةِ يُرْمَى أَطْنَانٌ مِنَ
الْخُبْزِ فِي الْقِمَامَةِ إِسْرَافًا وَمِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى يُفْقَدُ كَثِيرٌ مِنَ
النَّاسِ حَيَاتَهُمْ بِسَبَبِ الْجُوعِ وَالْحِرْمَانِ. يَا لَهْفُ! الْيَوْمَ
أَصْبَحْتَ الْبَشَرِيَّةَ أَسِيرَةً تَحْتَ طُمُوحَاتِهَا الدُّنْيَوِيَّةِ وَلَمْ
تَتَمَكَّنْ مِنْ إِقَامَةِ عِلَاقَةٍ وُدِّيَّةٍ وَعَادِلَةٍ وَرَحِيمَةٍ مَعَ بَيْتِهَا.
لِذَلِكَ أَحْرَقَ الْغَابَاتِ رَغَمَ أَنَّهَا مَصْدَرُ التَّنَفُّسِ لِجَمِيعِ
الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ، وَصَحَّرَ الْأَرْضَ الَّتِي نَتَعَذَّى بِهَا وَنَسْكُنُ
جُوعَنَا، وَتَلَوَّثَ مِيَاهَ الْأَنْهَارِ حَيْثُ نَرَوِي مِنْهَا عَطْشَنَا.

إِلَى أَيِّ مَدَى سَنُوفِقُ عَلَى رَمِي الْأَفِ أَطْنَانٍ مِنَ
الطَّعَامِ إِلَى الْقِمَامَةِ رَغَمَ أَنْ حَضَارَتُنَا لَا تَسْمَحُ وَلَا تَرْحَبُ
إِقْنَاءَ فُتَاتِ الْخُبْزِ عَلَى الْأَرْضِ؟ وَإِلَى مَتَى سَوْفَ نَحْبِسُ
النَّفَايَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ الَّتِي يُمَكِّنُ إِعَادَةَ تَدْوِيرِهَا مِنْ جَدِيدٍ فِي
عَلْبِ الْقِمَامَةِ مِنْ خِلَالِ رَمِيهَا دُونَ مَبَالَاةٍ مُسْتَهْتَرًا؟

وَمَعَ ذَلِكَ، بِقَدْرِ مَا نُعَامِلُ بَيْتَنَا بِالْحُبِّ وَالرَّحْمَةِ
سَوْفَ نَعِيشُ فِي سَلَامٍ وَصِحَّةٍ، خِلَافَ ذَلِكَ، لَيْسَتْ الطَّبِيعَةُ
الَّتِي سَوْفَ تُضَارُّ مِنْ هَذِهِ الْمُعَامَلَةِ فَقَطْ بَلْ نَحْنُ نُصْبِحُ فِي
خَسَارَةٍ كَبِيرَةٍ ذَاتِيًّا. يَتِمُّ تَحْذِيرُ الْبَشَرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
عَلَى النَّحْوِ التَّالِي: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا
كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ﴾¹

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْمُخْتَرَمُونَ!

نَحْنُ خُلَفَاءُ اللَّهِ عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ الْغُفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ
الْوَاسِعَةِ. وَإِنَّ الْخَلِيفَةَ هُوَ إِسْمُ الْمَسْئُولِيَّةِ الْكَبِيرَةِ. وَأَنَّهَا لَا
تُفِيدُ سِيَادَةَ الْأَرْضِ بَلْ هِيَ تَعْنِي الصُّحْبَةَ وَالصَّدَاقَةَ
وَمُحَافَظَةَ الْأَرْضِ. وَأَنَّ مَقَامَ الْخَلِيفَةِ فِي الْأَرْضِ هُوَ اسْتِخْدَامُ
الْأَرْضِ وَفَقْلًا لِمَرْصَاةِ اللَّهِ دُونَ إِفْسَادٍ وَضَرَرٍ.

إِذَا دَعُونَا نُصْبِحُ حَسَّاسًا لِبَيْتِنَا. رَبُّنَا هُوَ الَّذِي خَالَقَ
الطَّبِيعَةَ وَمَالِكُهَا وَمُدَبِّرُهَا. وَهُوَ اللَّهُ قَدَّمَ لَنَا الطَّبِيعَةَ أَمَانَةً
عِنْدَنَا. وَدَعُونَا لَا نَنْسَى سَوْفَ نُحَاسِبُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ عَنْ
أَمَانَةِ رَبِّنَا. وَدَعُونَا نَعِيشُ مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ الْأَرْضَ هِيَ مَوْطِنٌ
لِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ وَلَيْسَ فَقَطْ لِلْبَشَرِ.

عِنْدَمَا أَنْتَهَى مِنْ خُطْبَتِي أُرِيدُ أَنْ أَذْكُرْكُمْ بِمَوْضُوعٍ
هَامٍّ. أَلَا وَهُوَ عَرْسُ الشِّتْلِةِ. وَبِمُنَاسَبَةِ أُسْبُوعِ الْمَسَاجِدِ
وَالْمَسْئُولِيَّةِ الدِّينِيَّةِ، بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ
الْمُقْبِلِ سَوْفَ نَزْرَعُ الشِّتْلَاتِ مَعَ جَمَاعَتِنَا الْكِرَامِ فِي جَمِيعِ
مَسَاجِدِنَا عَلَى سَطْحِ تَرْكِيَا. وَنَحْنُ نَدْعُوكُمْ لِلْمُشَارَكَةِ فِي
هَذَا النَّشَاطِ الْخَيْرِيَّةِ مَعَ أُسْرَتِكُمْ الْكَرِيمَةِ.

¹ سُورَةُ الْجَانِيَّةِ، رَقْمُ الْآيَةِ 13/45

² سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ، رَقْمُ الْآيَةِ 16/21

³ سُورَةُ الرَّحْمَنِ، رَقْمُ الْآيَةِ 29-30/55

⁴ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، بَابُ الْمَعَارِي، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 82

⁵ مُسْنَدُ ابْنِ حَنْبَلٍ، 184/3

⁶ سُورَةُ الرُّومِ، رَقْمُ الْآيَةِ 41/30